

وحج رسول الله في العام القابل ، وحج المسلمون معه ، وقد عاد الدين كله واحداً لله رب العالمين . ولم يخرج في حجة الوداع مشرك . وهذا هو سر الانذار بهذه السورة المباركة التي هدمت قوى المشركين وردعتهم ، فرعبوا وأنابوا الى الله ؛ إذ علموا أن لا ملجأ من الله إلا اليه .

### سنة الوفود وهي سنة ٩

لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسامت ثقيف وبابعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، وكان ذلك سنة تسع ، وإنما كانت العرب ترصد بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم . وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عايمهما السلام ؛ وقادة العرب لا ينكرون ذلك - وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ودوخها الاسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أفواجا ، يضربون اليه من كل وجه كما بينه الله لنبيه في سورة اذا جاء نصر الله والفتح .

وكانت الوفود بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها من سنة تسع وعشر . وروى انها ابتدأت بعد غزوة تبوك ، ومجموع ما ذكره أهل السير يزيد على الستين وسنقتصر على ما رأينا أهم فأول الوفود وفد هوازن بالجعرانة وقد سبق بيانه ، ثم وفد ثقيف بعد قدوم النبي من تبوك ، ثم وفد تميم وقد مضى بيانها .

(٤) وفد بنى عامر — وفد على النبي بنو عامر بن صعصعة ، وفيهم عامر بن الطفيل صاحب بئر معونة الذي قدم وهو يريد القدر بالنبي ، وقد قال له قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لم أدكن آيت لا أنتهي حتى تتبع العرب عتبي ، أفأنا أنبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد بن قيس : إذا قدمنا على الرجل فاني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فاما قدموا على النبي قال له عامر خالني يا محمد ( صادقني ، أو بتخفيف اللام مكسورة أي انفردي خاليا حتى أتحدث معك) قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده ، قال يا محمد خالني وجعل يكامه وينظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال خالني يا محمد ، فأبى إلا على ذلك الشرط ، فقال ما تجعل لي أن أسلمت؟ قال لك مالهم سامين وعليتك ما عليهم ، قال أتجعل لي الأمر بهدك؟ قال ليس ذلك لك ولا لتومك ، ولكن لك أعنة الخيل ، قال أنا الآن في أعنة خيل نجد ، أتجعل لي الوبر ولك للدرا؟ قال لا ، فقام عنه وقال : أم والله لا ملأهم عليلك خيلا جردا ورجالا مردا ، ولا رباطن بكل نخلة فرسان . فلما خرجوا من عند النبي قال عامر لأربد : ويحك ! أين ما كنت أمرتك به ؟ فقال : والله ما هممت بقتل محمد إلا رأيتك بيني وبينه ، أفأقتلك؟ فلما كان القوم ببعض الطريق أصاب الطاعون عامرا فقتله . فخرج أصحابه حين وادوه حتى قدموا أرض بنى عامر ، فقال القوم : ما ورائك يا أربد ، قال لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لو ددت أنه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين فاصابته صاعقة فهلك ، وهو أخو ليبيد ابن ربيعة الشاعر لأمه .

(٥) ثم قدم على رسول الله ﷺ وقد احرث بن عبد الله كلال والنهمان قيل ذى رعين وهدان ومعاقر - وبعث زرعة بن ذى بزن رسول مالك بن مرة الهاوى باسلامهم ومفارقة الشرك وأهله ، وكتب اليهم النبي ﷺ كتابه ، وبعث إلى ذى بزن معاذ بن جبل مع رسول مالك بن مرة يجمع الصدقات ، وأوصاهم برسالة معاذ وأصحابه

(٦) ووفد عدي بن حاتم من طيء فأسلم ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث قبل تبوك على بن أبي طالب في سرية فأغار عليهم ، وأصيب حاتم وأسرت ابنته ، وغنم سيفين في بيت أصنامهم كانا من قربان الحرث بن أبي شمر ، وكان عدي قد هرب قبل ذلك وخلق ببلاد قضاة بالشام ، فرارا من جيوش المسلمين وجوارا لأهل دينه من النصارى ، وأقام بينهم ، ولما سيقت ابنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها ، ومر بها رسول الله ﷺ فكلمته ان يمن عليها ، فقال قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدى ذا ثقة من قومك يبلغك إلى بلادك ثم آذني ، قالت : فأقمت حتى قدم ركب من بنى قضاة ، وأنا أريد أن آتى أخى بالشام ، فعرفت رسول الله ، فكساني وحماني وزودني ، وخرجت معهم وقدمت الشام ؛ فلما لقيها عدي ، تلاوما ساعة ، ثم قال لها : ماذا ترين في أمرى مع هذا الرجل ؟ فأشارت عليه بالحقاق به ، فوفد ، واکرمه رسول الله ﷺ ، وادخله بيته ، واجلسه على وسادته ، بعد استوقفت النبي في طريقه امرأة فوقف لها ، فعلم عدي انه ليس بملك ، وانه نبي ، ثم أخبره النبي عن أخذه المربع من قومه وهو لا يعمل له ، فأزداد استبصارا ، ثم قال له : لعله انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فيوشك أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه أو لعله يمنعك ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على

بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، أو لعله يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان لغيرهم ، فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت ، فأسلم عدى وانصرف إلى قومه

(٧) وبعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة فقدم على رسول الله ﷺ فاستخلفه على ما جاء به من الإسلام ، وذكر التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج واحدة واحدة ، حتى إذا فرغ أشهد وأسلم وقال : لا تؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيت عنه ، ثم لا تزيد عليها ولا أنقص ، فلما انصرف قال ﷺ : ان صدق دخل الجنة ، وقدم ضمام على قومه فأسلموا كلهم يوم قدمه .

(٨) وفي سنة عشر بعث النبي خالد بن الوليد في سرية إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام ويقائلهم ان لم يفعلوا ، فأسلموا وأجابوا داعيته ، وبعث خالد الرسل في كل وجه فأسلم الناس ، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فكتب اليه أن يقدم مع وفد فقبل خالد ومعه وفد بني الحرث فأكرمهم رسول الله ﷺ فأسلموا ، وأمر عليهم قيس بن الحصين منهم ، فرجعوا وانبهم عمرو بن حزم النجاري ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ، وكتب اليهم كتابا عهد اليه فيه عهده ، وأمره بأمره ، وقد وقع هذا الكتاب في السير مرويا واعتمده الفقهاء في الاستدلالات ، وفيه ما أخذ كثيرة للأحكام الفقهية

(٩) وقدم وفد ازدرش وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه ، فبعث ابن أسلموا أمر رسول الله ﷺ صردا غي من أسلم منهم ، وأن يجاهد المشركين حوله ، فذهب فحاصر - رش ومن بها من خشمهم وقبائل اليمن ، وكانت جرش حصينة فحاصر من اجتمع فيها شهرا ، ثم انصرف عنهم فظنوا انه انهزم ، فاتبعوه إلى جبل شكر فصف وحمل عليهم ونال منهم ، وكانوا يبعثوا إلى رسول الله ﷺ رائدين فأخبرها بواقعة شكر ، وقال ان بدن الله

لتنخر عنده الآن ، فرجعا إلى قومهما ، واخبراهم بذلك فأسلموا ، وحمى لهم  
حمى حول قرينتهم

(٩) ووفدت همدان واسلمت . وكانت وفادتهم على يد علي ، وذلك أن  
رسول الله بعث خالدا إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الاسلام فكث ستة أشهر  
لا يجيبونه ، فبعث إليهم علي بن أبي طالب ، وأمره أن يقفل خالدا ، فلما بلغ  
على أوائل اليمن ، جمعوا له ، فلما لقوه صفوا ، فقدم على الانذار ، وقرأ عليهم  
كتاب رسول الله ، فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم ، وكتب بذلك إلى  
النبي ، فسجد شكرا لله ، ثم قال : السلام على همدان ثلاث مرات ، ثم تابع  
أهل اليمن على الاسلام وقدمت وفودهم

(١٠) وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال لقيس بن المكشوح المرادي :  
اذهب بنا إلى هذا الرجل ، فلن يخفي علينا أمره ، فابى لقيس . ذلك ، فقدم  
عمرو على النبي فأسلم ، ثم ارتد ولحق بالاسود العنسي كما سيجيء  
وكان فروة بن مسيك المرادي على زبيد ، لأنه وفد قبل عمرو ومفارقا لموك  
كندة فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفاض الاسلام ، فاستعمله  
رسول الله على مراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصي  
على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى الوفاة

(١١) وقدم وفد عبد القيس ، يقدمهم الجارود بن عمرو ، وكانوا على  
دين النصرانية ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم ، ولما كانت الوفاة ارتد عبد القيس ،  
ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يسمى الغرور ، وثبت الجارود على  
الاسلام ، وكان له المقام المحمود . وهلك قبل أن يراجعوا ، وقد كان النبي  
أرسل العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي ، فأسلم  
وحسن اسلامه ، وهلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أمير  
على البحرين لرسول الله ﷺ

(١٢) وفد مسيلمة الكذاب في بني حنيفة قومه

قدم مسيلمة المدينة على عهد رسول الله ﷺ ، فجعل يقول : ان جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل النبي ومعه ثابت بن قيس ، وفي يد النبي قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : ان سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعد وأمر الله فيك ، ولئن أدرت ليعقرنك الله ، واني أراك الذي أريت فيه مارأيت ، ثم انصرف فسأل ابن عباس ما مراد النبي بالعبارة الأخيرة فروى له ابو هريرة أن النبي ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت في يدي سورين من ذهب ، فانهى شأنهما فارحى الى في المنام أن انفخهما ، فنفخهما فطارا ، فاولتهما كذا بين يخرجان من يدي ، فهذان هما ، أحدهما العنسي صاحب صنعاء ، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة

هذا - وكان مع مسيلمة الرجال بن عنقوة وطلق بن علي وعليهم سامان بن حنظلة ، فاسلم ثلاثتهم ، واقاموا أياما يتعاهون القرآن من ابي بن كعب ، ورجال يتعلم ، وطلق يؤذن لهم ومسيلمة في الرجال ، فذكروا للنبي مكانه في رحالهم فأجازه وقال ليس بشركم مكانا لحفظه رحالكم ، فقال مسيلمة : قد عرف ان الامر لي من بعده ، فلما رجع ارتد وأدعى النبوة وشهد له الرجال وطاق بأن النبي أشركه في الأمر ، ثم وضع عنهم الصلاة واحل لهم بعض المحرمات فافتتن الناس به ، فكتب إلى رسول الله : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك فاني قد أشركت في الأمر معك ، وان لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم لا يعدلون ، فكتب اليه رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين - قيل ان ذلك كان بعد منصرف النبي من حجة الوداع

(١٣) وفد كنده - وقدم الأشعث بن قيس في ثمانين أو ستين من قومه أو أكثر ، وعليهم الديباج والحري ، فأسلموا ، ونهاهم النبي عن الحري فشقوه ونزعوه والقوه ، وقال له الأشعث : الستم منا ؟ فقال النبي : نحن بنو النضر ابن كنانة ، لا تقفوا معنا ( نزميها بالفجور ) ولا تفتني من ابينا ، أراد الأشعث ان للنبي جدة من كنده هي أم كلاب بن مرة ، وأراد النبي أن من انتسب إلى غير أبيه فقد انتفى من أبيه وفقا أمه

(١٤) وقدم مع وفد كنده وفد حضرموت ، وهم بنو وليعة وماوكمهم فأسلموا .

وقدم وائل بن حجر قبل حضرموت راغبا في الاسلام فدعا له ومسيح رأسه ، ونودي الصلاة جامعة سرورا بقدومه ، وأمر معاوية أن ينزله الحرة فمشى معه وكان راكبا ، فقال له معاوية : أعطني نعلك اتوقى بها الرمضاء فقال ماكنت لا لبسها وقد لبستها ؛ وفي رواية أخرى : لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك ، فقال أردفني ، قال لست من أرداف الملوك ، فقال : إن الرمضاء قد أحرقت قدمي ، قال : أمش في ظل ناقتي كنهالك به شرفا .

ولما انصرف كتب اليه رسول الله ﷺ كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي الى وائل بن حجر قيل حضرموت ، انك إن أسلمت ، لك مافي يديك من الأرض والحصون ، ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ، ينظر في ذلك ذوا عدل ، وجعلت لك ألا تظلم فيها معلم الدين ، والنبي والمؤمنون اشهاد عليه .

(١٥) وفد نصارى نجران ، وكانوا سبعين راكبا يقدمهم أميرهم العاقب عبدالمسيح من كنده . واستقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل ، والسيد الايهم ، فسألوه وسألهم وجادلوا عن دينهم وقالوا ماتقول في عيسى ؟ فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران وفيها قوله ( إن مثل عيسى عند الله ... الآية ) وآية

المباهلة بعدها ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم... الآية ) فأبوا أن يقرؤا وطلبوا المباهلة أو طلبها النبي ، فأصبح رسول الله وخرج اليهم ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين ، فلما رأوهم قالوا : إن هذه وجوه لو أقسمت على الله أن نزيل الجبال لأزالها ، وأبوا المباهلة وفرقوا منها ، وسألوا الصاح فكتب لهم به ، علي الف حلة في صفر والف في رجب ، وعلي دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف ، وطلبوا أن يبعث معهم واليا يحكم بينهم ، فبعث أبا عبيدة ، ثم جاء السيد والعاقب فأسلما .

(١٦) وأوفد فروة بن عمرو الجذامي ملك عرب الروم ، أرسل رسولا بإسلامه واهدى للنبي بغلة بيضاء ، وكان تاملا للروم علي من يلبهم من العرب وكان منزله معان وماحوطا من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه فأخذوه فحبسوه ثم قتلوه صلبا ، فكان هذا من أسباب غزو الروم .

(١٧) ووفد بنو أسد ، عشرة رهط فيهم طليحة بن خويلد فقال متكلمهم للنبي ﷺ .. جئناك ولم تبعث إلينا بمئا ونحن لمن وراءنا ، فأنزل الله تعالى ( يعنون عليك أن أسلموا... الآية ) .

(١٨) وفد هنرة الذين قال لهم رسول الله من القوم ؟ فقال متكلمهم : من لا تنكره ، نحن بنو هنرة أخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا تصيبا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنو بكر ، ولنا قرابات وراحام ، فقال لهم النبي : مرحبا بكم وأهلا ، ما أعرفني بكم ، فأسلموا وبشرهم رسول الله بفتح الشام ، وهرب هرقل الي ممتنع من بلاده ، ثم انصرفوا واجيزوا .

(١٩) وفد بلي - وقدم وفد بلي فأنزلهم رويفع بن ثابت البلوي وقدم بهم علي رسول الله وقال هؤلاء قومي ، فرحب به وبهم فأسلموا فقال لهم الحمد لله الذي هداكم للإسلام وأقاموا ثلاثا ثم ودعوا رسول الله واجازهم فرجعوا الي بلادهم .

(٢٠) وفد النخع - وقدم على النبي وفد النخع وهم آخر الوفود في نصف  
لمحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل فنزلوا في دار الضيافة ، ثم جاءوا رسول  
لله مقرين بالاسلام ، وكانوا بايعوا معاذ بن جبل .

هذا - وقد وفدت وفود أخرى كثيرة

كوفد بهراء ، ووفد بنى فزارة وفيهم خارجه بن حصن وابن أخيه الحر  
بن قيس ، ووفد غسان في ثلاثة نفر ، فأسلموا وانصرفوا إلى قومهم فلم  
يحببوا إلى الاسلام ، فكتموا أمرهم ، ولقى واحد منهم أبا عبيدة باليرموك ،  
أخبره باسلامه ؛

ووفد الرها من مذحج في خمسة عشر نفرا واهدوا فرسا ، واسلموا  
تعلموا القرآن وانصرفوا ، ثم قدم نفر منهم وحجوا مع رسول الله ؛ -  
وفد دوس آل الطفيل بن عمرو الدوسي الذي أشرنا إليه في حديث وقوف  
ريش في وجه من يقصد النبي وهو بمكة من أعيان العرب .

ووفد عبس ، ووفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم -  
وفد جذام ، ووفد طيء يقدمهم سيدهم زيد الخليل وغيره فاسلموا ، وسماه  
رسول الله زيد الخليل واقطع له بئرا وارضين معه ، وكتب له بذلك ، فأت  
، مرجعه .

والغرض من سوق هذه الوفود أن تتبين أن جزيرة العرب كلها أوت إلى  
عظيمة الاسلام ، وأصبح أهلها على اختلاف أماكنهم ونحلهم مسلمين لله  
رسوله ، وللمسلمين ، يلتقون اليهم بالموودة ، وكل ذلك على أثر اسلام قريش  
وفتح مكة ، وإسلام ثقيف ، فسبحان من وفق وهدي ، وأظهر دينه على  
لدين كله .



## حجّة الوداع

لاخلاف في أنه صلى الله عليه وسلم لم يبحج بعد الهجرة إلى المدينة سوى حجة واحدة ، وهي حجة الوداع ، ولا خلاف في أنها كانت سنة عشر ولما عزم أعلم الناس أنه حاج ، فتجهزوا للخروج معه ، وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج معه ، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون ، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر .

ثم خرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة ؛ بعد أن خطبهم خطبة علمهم فيها الاحرام وواجباته وسننه ولما نزل ذا الحليفة صلى بها العصر ركعتين وبات ؛ فلما أراد الاحرام اغتسل ثم لبس أزاره ورداءه وصلى الظهر ركعتين ، ثم أهل بالحج والعمرة ، وقلد قبل الاحرام بدنه نعلين واشعرها في جانبها الأيمن ، فشق صفحة سنامها وسات الدم عنها ، ثم مضى فمر بالأبواء ثم بوأدى عسفان ثم بسرف ، ثم نهض فنزل بذي طوى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة ، وصلى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها نهارا من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون ، ثم سار حتى دخل المسجد من باب بنى عبد مناف وهو الآن باب بنى شيبه ، ثم عمد إلى البيت فطاف وكلم حاذي الحجر الأسود أشار إليه واستامه بمحجنه ، فلما فرغ صلى خاف المقام ركعتين ، ثم أقبل إلى الحجر فاستامه ، ثم خرج من باب الصفا إلى الصفا ومنها ابتداء

السمعى إلى المروة وكان على ناقته ليراه الناس  
ثم أقام بعد ذلك أربعة أيام بظاهر مكة يقصر الصلاة  
فأما كان يوم الخميس توجه ضحى إلى منى بمن معه من المسلمين  
فصلى بها الظهر والعصر وبات ، فلما طلعت الشمس يوم الجمعة ، سار  
منها إلى عرفة وضربت له بنمرة قبة فزل بها ، حتى إذا زالت الشمس ،  
أمر براحلته فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عُرَاقَةَ  
فخطب الناس خطبة بليغة بين فيها ما بين :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اسمعوا قولى ، فانى لأدرى  
لعلى لألقاكم بعد عامى هذا فى هذا الموقف أبدا ، أيها الناس ان دماءكم  
وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة  
شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم فىسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ،  
فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا  
موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى  
الله انه لاربا ، وان ربا عباس بن المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان  
فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع ، دم ابن ربيعة بن الحارث  
ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهو أول  
ما أبدا به من دماء الجاهلية

أما بعد أيها الناس ، إن الشيطان قد يتس أن يعبد بارضكم هذه  
أبدأ ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ،  
فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ،

يحاولونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، إلا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليه : ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ، ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، وأوصى بالنساء خيرا وذكر الحقوق التي لهن وعليهن ، ثم قال : اعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، واعلموا أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة ، لا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تضامن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ فذكر أن الناس قالوا اللهم نعم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد . انتهى .

وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ، ربيعة بن أمية بن خلف ، وأقام النبي حتى صلى العصر ثم ركب حتى أتى الموقف وقال وقفت هنا وكل عرفة موقف ، ثم أفاض الى المزدلفة وبات بها حتى أصبح فصلى الصبح في وقتها يوم النحر ، وهو يوم العيد ويوم الحج الأكبر ، وهو يوم الأذان براءة الله ورسوله من كل مشرك ، ثم ركب حتى أتى موقفه من المشعر الحرام ودعا وكبر وهلل ، ثم سار الى بطن محسر وسلك الطريق التي تخرجه على الحرة الكبرى حتى أتى مني ، فخطب خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله ، وحرمة مكة على جميع البلاد ، ثم أوصى كثيرا وأعلم الناس ان مني كلها

منحرف ، ثم انصرف الى المنحرف فنحرف ثلاثا وستين بدنة بيده ، وهو عدد سني عمره ، وأمر عليا أن ينحرف ما بقى من المائة - ولما أكمل ذلك حلق ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر راكبا ، فطاف طواف الافاضة ، وهو طواف الصدر ولم يسع معه ، ثم أتى زمزم فشرب وهو قائم ، ثم رجع فصلى الظهر بمى وبات بها ، فلما أصبح وزالت الشمس مشى من رحله الى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الاولى التي تلى مسجد الخيف ، ثم أتى الى الجمرة الوسطى ، ثم أتى الى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة ، وقد رمى في كل واحدة منها بسبع حصبات ؛ وقد استأذنه العباس أن يبديت بمكة ليال مني من أجل سقايته فاذن له ، ولم يتعجل رسول الله في يومين بل تأخر حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة ، وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو خيف بنى كنانة فبات ثم نهض الى مكة فطاف طواف الوداع ليلا سحرا ، ثم ارتحل من فوره الى المدينة ، فلما أتى ذا الحليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وهلل وحمد الله كثيراً .

هذا ما كان في صفة حجة الوداع ، وكل حركاتها أحكام فقهية بينها رسول الله للناس حكما حكما ، وأمر الناس بأخذها عنه حتى لا يعودوا فيحدثوا في مناسك الحج مثل الذي ابتدعته العرب في الجاهلية . أما ما بينه في خطبته فاهم ما كان منه موجزا .

( ١ ) تحريم الدماء والاموال والاعراض أو منع العدوان ليسود

السلم بين المسلمين

(٢) تحريم الربا وهو كل فضل منعا لما ينشأ عن الربا من الظلم والعداوة والبغضاء

(٣) تحريم الطلب بالنارات التي مضت في الجاهلية ، قطع الدابر الحزازات القديمة التي كانت مثار أكثر الحروب الطاحنة في الجاهلية  
(٤) الاستمسك بكتاب الله وسنة نبيه في التشريع واستنباط الاحكام ، حتى لا تظفي الاهواء على ما أنزل الله ، فتعود احكام الجاهلية وحتى لا تطمس معالم السنة فتنتشر البدع فان كل بدعه ضلالة  
(٥) ابطال عادة تأخير الشهور عن مواضعها حتى لا تؤدي فريضة الحج مثلا الا في ذي الحجة .

وبالتأمل نجد أن في هذا الذي بينه رسول الله ﷺ للناس فيما بين ، ضمنا للسعادة التي ينشدها عامة البشر الذين يتبعون الرسول النبي الامي فيما يأمر به من الطيبات وينهى عنه من الخبائث ، معتمدين في ذلك من بعده على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد

لذلك كانت هذه الحججة تسمى حجة البلاغ ، كما تسمى حجة الوداع

بعث اسامة

والا رجع النبي من حجة الوداع آخر ذي الحجة ضرب على الناس في شهر المحرم بعثنا إلى الشام ، وأمر عليهم مولاة اسامة بن زيد بن حارثة ، أمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الاردن من أرض فلسطين ومشارف الشام ، فتجهر الناس ، واوعب معه المهاجرون الاولون ، فبينما الناس على ذلك ، ابتداء النبي بشكواه التي قبضه الله

فيها إلى كرامته ورحمته ، وتكلم جماعة من المنافقين في إمرة اسامة ، فقال رسول الله للناس : قد بلغني ان اقواما تكاموا في امارة اسامة ووزنه لحقيق بها ، انفروا ، فضرب اسامة بالجرف وتمهل ، وثقل رسول الله وتوفاه الله قبل توجه اسامة ، فأنفذه الصديق في خلافته كما سيجيء

### أخبار الاسود ومسيامة وطليحة

كان النبي بعد أن قضى حجة الوداع ، تحلل به السير فاشتكى ، وطارت الاخبار بذلك . فوثب الاسود باليمن ، ووثب مسيامة باليمامة ، ووثب طليحة بن خويلد في بني أسد ، يدعى كلهم النبوة ، وحوارهم رسول الله ﷺ بالرسول والكتب الى عماله ، ومن ثبت على إسلامه من قومه أن يجحدوا في جهادهم ، فاصيب الاسود قبل وفاته ﷺ بيوم ، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذب عن دينه ، فبعث إلى المساميين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذابين ، يأمرهم يجحدوا ، وجاء كتاب مسيامة اليه فاجابه كما مر ، وجاء ابن أخي طليحة يطلب الموادة ، فدعا عليه ﷺ ، حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان

### العمال على النواحي

كان رسول الله حين أسلم باذان - عامل كسرى على اليمن - وأسلمت اليمن ، أمره على تخاليفها ولم يشرك معه فيها أحدا حتى مات باذان ، وبلغه ﷺ موته منصرفه من حجة الوداع ، فقسم عمله على جماعة من أصحابه

فولي علي صنعاء ، شهر بن باذان ، وعلي مارب ، أباموسي الأشعري ،

وعلى الجند ، يعلى بن أمية ، وعلي همدان ، عامر بن شهر الهمداني ،  
وعلى عك والاشعريين ، الطاهر بن أبي هالة ، وعلي مابن نجران وزمعة  
وزبيد ، خالد بن سعيد بن العاصي ، وعلي نجران ، عمرو بن حزم ، وعلي  
حضر موت ، زياد بن ليبيد ، وعلي السكاسك والسكون ، عكاشة بن  
ثور الغوثي ، وعلي معاوية بن كندة ، المهاجر بن أبي أمية ، واشتكي  
المهاجر فلم يذهب ، فكان زياد بن ليبيد يقوم على عمله ، وبعث معاذ بن  
جبل معاما لاهل اليمن وحضر موت ، وكان قبل ذلك قد بعث على  
الصدقات : عدى بن حاتم على صدقة طيء وأسد ، ومالك بن نويرة  
على صدقات بني حنظلة ، وقسم صدقات بني سعد بين رجلين منهم ،  
وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث على بن أبي طالب  
إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عاينها ، فوافاه في حجة  
الوداع وحج معه

### حديث الأسود العنسي

وإذ كان أمر هذا الكذاب قد ظهر في حياة رسول الله ﷺ ،  
وقضى عليه في حياته أيضا إذ لم يقتل إلا قبيل الوفاة ، رأيت أن أسوق  
حديثه هنا ، وأؤجل حديث غيره من المتنبئين إلى أيام أبي بكر رضي  
الله عنه :

(١) لما ظهر هذا الكذاب باليمن حاوبه شهر بن باذان فهزمه  
الأسود وفرق الابناء عنه ، وظفر به بعد فقتله وغلب على صنعاء ،  
وهرب عمال رسول الله ، وجعل أمر الكذاب يستطير استطاراة الحريق  
(٢) وكان جعل عمرو بن معديكرب خليفته في مذحج بعد أن

أرثد عمرو ، وكان مع خالد بن سعيد بن العاصي خلفه واستجاب للأسود  
فسار إليه خالد واتفق فاختلفا ضربتاين فقطع خالد حمائل سيفه الصمصامة  
وأخذه ، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل ثم لحق بالأسود فولاه  
على منذج كلها

وجعل أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء  
إلى فيروز الديلمي وداذويه ، وسطا الأسود على امرأة شهر واسمها  
أزاذفتزوجها

(٣) وانفذ رسول الله إلى فيروز وغيره من الأبناء يأمرهم بالقيام  
على دينهم ، وأن ينهضوا في الحرب والعمل في الأسود إما غيلة وإما  
مصادمة ، فأثني كتاب رسول الله إلى أصحابه هؤلاء تغير الأسود  
على قيس ، فقالوا إن قيسا يخاف على دمه ، وهو لأول دعوة ، فلم  
ندعوه ، فاجتمعوا لذلك ثم دعوه وأبثوه أمرهم ، وأبلغوه عن النبي  
ما جاءهم ، فكانت ما وقعوا عليه من السماء ، لأنه كان في غم وضيق بأمره  
فأجابهم إلى ما أحبوا .

وكان قيس قد وثب على فروة بن مسيك عامل رسول الله على  
مراد فأجلاه وانضم إلى الأسود كعمرو فولاه جنده ، فلما انتشر  
أمر الكذاب ودانت له البلاد ، فغلب على ما بين صنعاء وحضر موت  
إلى أعمال الطائف والبحرين ، استخف بقيس وبفيروز وداذويه  
ونهدد الجميع .

ثم إن عامر بن شهر بن باذان اعترض في قوم من أعيان اليمن  
فكاتبوا النبي وكاتبوا أصحابه وبذلوا لهم النصر ، فكان أصحاب النبي

في سر قد اتفقوا عليه ، فاجابوا القوم بالتوقف ، وذلك لأن أمر الأسود قد استتب واستفحل فهابوه هيبة شديدة ، وعاملوه بالتحية .

(٤) بدء التدبير على الأسود - ثم دخل جيش الديلمي على أزاذ فقال يا ابنة عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأطأ في قومك القتل وسفك بالاباحة دم من بقي منهم وفضح النساء ، فهل عندك عمالة عليه ؟ فقالت وعلى أي أمره ؟ قال جيشيش فقلت إخراجيه ، فقالت أو قتله ، قلت أو قتله ، قالت نعم ، والله ما خلق الله شخصاً ابغض الى منه ، ما ينتهى عن حرمة الله ، فاذا عزتم فاعلموني ، أخبركم بما تى هذا الأمر ، قال جيشيش فأخرج فاذا فيروز وداذويه ينتظراني ، وإذا قيس قد دعاه الأسود فدخل اليه في عشرة من مذحج وهمدان ، فقال له الأسود يا قيس ، ألم أفعل بك ألم أصنع ؟ يعتد عليه بنعمه ، فقال بلى ، قال فانه (يعنى شيطانه) يقول : إن قيسا على الغدر بك ايه ياسواه ياسواه ، إلا تقطع من قيس يده ، قطع فنتك العلبا ، حتى ظن قيس أنه قاتله ، فقال كذباك وذى الحمار ، فاما قتلتني فانها موتة مريحة أهون على من موتة أموتها كل يوم خوفا وفرقا ، وإما صدقتني فوالله لانت أهيب وأجل في نفسي من أن أحدثها بغدرلك - وأخرجه ، قال جيشيش فخرج علينا قيس وطوانا ، غير أنه قال : اعملوا عملكم ، ثم خرج علينا الأسود فقمنا مشولا بين يديه بالباب ، فقال يا فيروز ، أحق ما بلغني عنك ؟ وهياً له الحربة ، لقد هممت ان انحرك ، فقال فيروز : اخترتنا أيها الملك لصهرك وفضلتنا على الابناء ، ولو لم تكن نبيا ما بعنا نصيبك ونصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر آخره وأولى ، لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك ، فانا بحميت تحب .

ثم ذبح الاسود مائة من بين بقرة وبعير وقال لفيروز أقسم هذه فأنت أعلم بمن هبنا ، قال فيروز ففعلت هذا ولحقته قبل أن يصل الى داره ، فاذا رجل

يسعى اليه بي ، فأستمع له وهو يقول : أنا قاتله غدا وأصحابه ، فأغد علي ، ثم التفت فاذا فيروز ، فقال له مه ، فقال قد قسمتها كما أمرتني ، قال أحسنت ، وضرب دابته ودخل ، فرجع فيروز الى أصحابه فأخبرهم بالخبر ، قال جشيش : فأرسلنا الى قيس فجاءنا فاجتمع ملوؤهم علي أن أذهب الى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتشير علينا برأيها ، فأتيت المرأة وقلت ما عندك ؟ قالت : هو متحرز محترس ، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به ، خير هذا البيت ، فان ظهره الى مكان كذا وكذا من الطريق ، فاذا أمسيتم فانقبوا عليه ، فانكم دون الحرس ، وليس دون قتله شيء ، وقالت : انكم ستجدون فيه سلاها ومراجا ، فهو علامة لكم ؛ فخرجت من عندها ، وتلقاني الاسود خارجا من بعض منازلها فقال . ما أدخلك علي ؟ ووجأ رأسي حتى سقطت ، وصاحت المرأة وادهشته عني ، ولولا ذلك لقتلني ، وقالت : ابن صمي جاءني زأرا ، فقصرت بي ، فقال اسكتي لا أبالك فقد وهبته لك ، فتحاملت وأتيت أصحابي فقلت النجاء ، الهرب ، واخبرتهم الخبر ؛ فانا علي ذلك حيارى إذ جاءني رسولها يقول . لا تدعن مافارقتك عليه ؛ فاني لم أزل به حتى اطمأن واعتذر ، فقلنا لفيروز ائتمها وتمت ، فأما انا فلا سبيل لي الى الدخول منفردا بهد النهي ، ففعل ، وكان فيروز أفطن منا ، فلما أخبرته الخبر قال ، وكيف انقب علي بيوت ميطنة الابواب ، ينبغي لنا أن نطلع بطانة الباب فدخلا فاقتلنا البطانة ثم اغلقاه وجلس عندها كالزائر ، فدخل الاسود فاستخفته غيره ، واخبرته ازاذ برضاع ، وقرابة مثلها محرم ، فصاح به وأخرجه فجاء بالخبر .

(٥) تنفيذ الخطة ، قال جشيش ، فلما امسينا عملنا في امرنا ، وقد كنا واطأنا أشياعنا ولكن عجلنا عن مراسلتهم ، فنقمنا البيت من خارج ، ثم دخلناه وفيه سراج تحت جفنة . واتقينا بفيروز ، لأنه كان انجدنا وأشدنا ، فقلنا انظر

ماذا ترى وأين موضعه ؟ فدخل ونحن بينه وبين الحرس الذي مع الأسود في مقهورته ، فلما دنا من باب البيت سمع غطيظا شديدا وإذا المرأة جالسة ، فلما قام على الباب فتح الأسود عينيه وقال مالي ولك يا فيروز ، نفشى أنت يرجع لأخذ السلاح واعلامنا ، فنهلك وتملك المرأة ، فعاجله ومخالطه ، وكان مثل الجمل ، فأخذ برأسه فدفقه ووضع ركبته في ظهره فدفقه ، ثم قام ليخرج ، فأخذت أزاز بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله ، وقالت أين تدعى ، قال لها لا بأس أخبر أصحابي وأعود معهم ، فأتانا وقتنا معه ، فأردنا حز رأسه ، فتتحرك واضطرب ، فلم نضبطه ، فقلت اجلسوا على صدره ، فجلس الاثنان على صدره وأخذت المرأة بشعره ، وأمر الشفرة على حلقة ، فخار كأشد خوار من ثور سمعته قط ، فابتدر الحرس الباب ، وهم حول المتصورة ، ماهذا ماهذا ؟ فقالت ازاز : النبي يوحى اليه ، اهدءوا ، نحمد ، ثم سمرنا ليلتنا ونحن نأمر كيف نخبز أشياعنا ، فأجمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا ، ثم نادى الأذان ، فلما طلع الفجر ، فعلنا ذلك فناديتهم . أشهد ان محمدا رسول الله ، وأن عييلة كذاب ، والقيينا اليهم برأسه ، وخلصت صنعاء والجند ، وأعز الله الاسلام ، وتنافسنا الامارة وتراجع أصحاب رسول الله الى أعمالهم بعد أن كانوا قد هربوا وتصالحوا على معاذ فكان يصلي بنا ، وكتبنا الى رسول الله بالخبر ، وذلك في حياته ، فقدمت رسلنا وقد مات النبي صبيحة الليلة التي فتكنا فيها بالأسود ، فأجابنا أبو بكر رضى الله عنه ، وجاء رسول الله الخبر من السماء فقال في صبيحتها قتل العنسي الليلة ، قتله رجل مبارك وهو فيروز ، ثم تقدمت بعد ذلك الرسل وقد توفي رسول الله .

وإنما فصلنا حديث هذا الكذاب على ما رأيت ، لأن رده أول ردة في الاسلام ، وأسمه عييلة ، وهو من عنس قبيلة يعنيه منها عمار بن ياسر وأهله .

## مرض رسول الله ووفاته

أول ما بدى به رسول الله ﷺ من ذلك ، أن الله نعى إليه نفسه بقوله :  
 إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة ، ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر ،  
 وتمادى به وجعه وهو يدور على نساءه حتى استقر به في بيت ميمونة ،  
 فاستأذنه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، وخرج على الناس فخطبهم ، وصلى  
 على شهداء أحد واستغفر لهم ، ثم قال : ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا  
 وبين ما عنده فاختار ما عنده ، وفهمها أبو بكر فبكى وقال : بل تفديك بانفسنا  
 وأبنائنا ، فقال على رسلك يا أبا بكر ، ثم جمع رسول الله أصحابه فرحب بهم وعيناه  
 تدمعان ودعا لهم كثيرا وقال : أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأوصى الله بكم  
 وأستخلفه عليكم وأودعكم إليه ، إني لكم نذير وبشير ، ألا تعلموا على الله في  
 بلاده وعباده ، فانه قال لي ولكم ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون  
 علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ) وقال ( أليس في جهنم مثوى  
 للتكبرين )

ثم سأله عن مغسله وكفنه والصلاة عليه ومن يدخل في قبره فبين لهم ،  
 ثم قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده ، فتنازعوا  
 وذهبوا يعبدون عليه ، ثم قال دعوني ، فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه  
 وأوصى بثلاث (١) أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب (٢) وأن  
 يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم ، ولم تعرف الثالثة ، قيل كانت الوصية بالقرآن ،  
 أو تجهيز جيش أسامة ، أو هي لا تتخذوا قبري وثنا . وأوصى بالانصار فقال  
 انهم كرشى وعبيتى التى أويت إليه ، فاكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم ،  
 قد أصبحتم يامعشر المهاجرين تزيدون والانصار لا يزدون ، ثم قال : سدوا

هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر ، فاني لا اعلم امراً أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وأخاء وإيمان حتى يجتمعنا الله عنده

ثم ثقل به صلى الله عليه وسلم الوجع وأغمى عليه ، فاجتمع اليه نساؤه وأهل بيته والعباس وعلي ، ثم حضر وقت الصلاة ، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : انه رجل اسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك فمر عمر ، فامتنع عمر ، وصلى أبو بكر ، قالت عائشة : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر ، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وان الناس سيثشاءمون به في كل حدث - وروى أن عمر صلى بالناس مرة وكان أبو بكر غائبا ، فلما كبر سماع النبي صوته فقال فأين أبو بكر ؟ ياأبي الله ذلك والمسلمون ، مرتين ، فبعث إلى أبي بكر فجاء فصلى بالناس بعد ذلك ووجد رسول الله خفة فخرج إلى المسجد ، فلما أحس أبو بكر تأخر ، فحذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه ، وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ، ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته ، والناس بصلاة أبي بكر ، قيل ثم صلى بهم أبو بكر سبع عشرة صلاة

وكان رسول الله وهو في النزع يدخل يده في القمح فيمسح وجهه بالماء

ويقول : اللهم أعني على سكرات الموت

فلما كان يوم الاثنين - وهو يوم وفاته - خرج إلى صلاة الصبح عاصبا

رأسه وأبو بكر يصلي فنكص عن صلاته ، فرده رسول الله بيده وصلى قاعدا

عن يمينه ، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم

ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر : إني أراك أصبحت بنعمة الله وفضله

كما نحب ، وخرج إلى أهله بالسنع وهو من عوالي المدينة ، ودخل رسول الله

بيته فاضطجع في حجرة عائشة وهي تحتضنه ، قالت ثم ثقل في حجرى فذهبت  
أنظر في وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة ،  
فعلمت أنه خير فاختار ، ثم قبض رسول الله ﷺ وهو بين سحري وسحري ،  
وذلك يوم الاثنين لاثني عشرة من ربيع الأول ، ودفن من الخد نصف النهار  
من يوم الثلاثاء ، ونادى النعي في الناس ، وأبو بكر غائب في أهله بالسنيح وعمر  
حاضر ، فقام في الناس وقال : ان رجالا من المنافقين زعموا أن رسول الله مات  
وأنه لم يموت ، وأنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ، وليرجعن فيقطعن أيدي  
رجال وأرجلهم

وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر حتى نزل على باب المسجد ، وعمر يكلم  
الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل بيت عائشة ، ورسول الله مسجى في  
ناحية هذا البيت عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل فقبله  
ثم قال بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن  
تصيبك بعدها موتة أبدا ، ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ ، وخرج وعمر  
يكلم الناس ، فقال على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه  
أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا  
عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال . أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً  
قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا ( وما محمد إلا رسول  
قد خلت من قبله الرسل .... الآية ) فكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية  
نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وأخذها الناس عن أبي بكر فانما هي في  
أفواههم ، قال عمر . فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى  
وقعت إلى الأرض ماتماني رجلاي ، وعلمت أن رسول الله قد مات ، وقال  
عبد الله بن عمر . فكانما كانت على وجوهنا أغطية ثم كشفت

أما بقية الصحابة فكانوا من الدهش وطيش العقول على درجات . فمنهم من  
خبل كعمر فقال ما قال ، ومنهم من أخرج كعثمان حتى كان يذهب به ويجاء وهو  
لا يستطيع كلاما ، واضنى عبد الله بن أنيس فأت كذا  
وأما أبو بكر فكان مثلاً أعلى في الثبات والصبر والشجاعة ، نعم ، جاء  
وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد في صدره ، وغصصه ترفع ، ولكنه مع ذلك كان  
جلد العقل جيد المقالة

وتوفى رسول الله ﷺ وهو ابن ٦٣ سنة قضى ٤٣ منها بمكة ، كان في  
١٣ منها نبيا ، ثم قضى ١٠ بالمدينة دار هجرته

ولما طار خبر الوفاة إلى مكة ارتجت مكة ، وكاد أهلها أن يرتدوا ، فقام  
سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا ، فقال بأهل مكة ، لا تكونوا  
آخر من أسلم وأول من ارتد ، والله لبيتم هذا الأمر كما ذكر رسول الله ،  
فلقد رأيتاه قائما مقامى هذا وحده وهو يقول . قولوا معى لا إله إلا الله تدن  
لكم العرب ، وتؤدى اليكم العجم الجزية ، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر  
في سبيل الله ، فمن بين مستهزىء ومصديق ، فكان ما رأيتم ، والله ليكونن الباقي  
فامتنع الناس عن الردة

وهذا هو المقام الخمود الذى نود به رسول الله لما أمر سهيل فى بدر ،  
فقال عمر دعنى أنزع ثيابه يا رسول الله ، فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال  
رسول الله دعه يا عمر ، فسيقوم مقاما تحمده عليه

عود - وبيننا الناس فى حالهم السابق إذا رجل جاء يسعى بخبر الأنصار  
أنهم اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يباليعون سعد بن عباد ، وأحسنهم مقالة  
من يقول منا أمير ومن قريش أمير ، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فى  
نفر قليل من المهاجرين ، وأقام على والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد

يتولون تجهيز رسول الله ، فغسله على ، سنده إلى ظهره ، والعباس وابناه  
 يلقبونه معه ، وأسامة وشقران يصبان الماء ، وعلى يدك لا يقضى إلى بشرته ،  
 ثم كفنوه في ثوبين صحارين وبرد حبرة ، أدرج فيهن ادراجا ، واستدعوا  
 حفارين أحدهما ياخذ والآخر يشق ، واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته ،  
 فقال أبو بكر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول . ما قبض نبي الا يدفن حيث قبض ، فرفع  
 فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحتة ، ودخل الناس يصلون عليه أفواجا .  
 الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد ، لا يؤم أحدهم أحدا ، ثم دفن من  
 وسط الليل ليلة الأربعاء أو من وسط النهار يوم الثلاثاء  
 وقالت فاطمة لأنس . أطابت نفسك أن تمثوا على رسول الله التراب ؟  
 فسكت عن جوابها رعاية ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلا  
 أننا قهرنا على فعل ذلك امتثالا لأمره

### تركة رسول الله

كان رسول الله زاهدا في الدنيا معرضا عنها مقتنعا بالبلاغ منها ، وقد  
 دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جسمه فقال له : لو اتخذت فراشا  
 أوطأ من هذا ؛ فقال : ما لي وللدنيا ، والذي نفس محمد بيده ما مثلي ومثل  
 الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ،  
 ثم راح وتركها

هذا شأن النبي وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ، ومن  
 أقصى اليمن إلى شجر عمان ، وهو أزهد الناس فيما يقتضى ويدخر ، وأعرضهم  
 عما يستفاد ويحتكر ، لم يخلف عينا ولا دينا ، ولا حفر نهرا ، ولا شيد قصرا ،  
 ولم يورث أهله متاعا ولا مالا ، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودى على  
 أصع من شعير لطعام أهله

هذا شأن النبي وقد ملك جزيرة العرب ، وكان فيها ملوك وأقبايل ، لهم خزائن وأموال ، يقتنونها ويتباهون بها ويستمتعون بها ، وقد حاز ملكهم ، فما اقتنى ديناراً ولا درهما ، وكان قد حاز غنائم هوازن ، وما أكثرها كما سلف ، فجاد بجميع حقوقه منها وعاد خلوا

مات وله فدىك خالصة من دون المؤمنين ، فصارته بعد موته للمسلمين ، وجاءت فاطمة إلى أبي بكر تريد أن ترثها ، فذكرها بقول أبيها : نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة ، فكففت - وبعد تحقيق بمن كانت هذه بعض أخلاقه أن يكون لزعامته العالم أهلاً وبالنبابة عن الناس في مصالحهم أولى - صلى عليه وعلى آله وصحبه وسلم

## حياة رسول الله وأثر الإسلام في العرب

ما تقدم نستنبط أن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام انقسمت إلى الأقسام الآتية :-

( ١ ) حياة ما قبل النبوة ، وكان فيها كأحد قومه ، ولما شب حبيب إليه الاعتكاف بجماء لطلب الدين الحق ، دين فاطر السموات والأرض ، وظل هذا سبيله إلى أن نزل عليه الروح الأمين ، وفي هذه الفترة كان له من الناحية الخلقية منزلة عظمى بين قومه حتى دعوه بالأمين

( ٢ ) حياة النبوة والرسالة ، وتنقسم إلى مدتين ،

الأولى . مدة مقامه بمكة ، وكان فيها يدعو إلى الله سرا ، ثم أمره الله أن يجهر بالدعوة ويعرض عن المشركين ، ولقد لقي من المشركين ضروباً من الأذى ، وكان متى كان أكرم وعندهم اصفتح ، كانوا الأم وعليه الخ ، والعجب أنهم كانوا احلم إلا فيما بينهم وبينه ، فسيخروا منه وتلقوه بما يكره ، ورموه بالحجارة

وهوا بقتله ، وكان لا يتولى هذا منه إلا العظاء . والاقوال والاعمام والاقرب  
فلاقرب . فاذا كانوا كذلك كان أشد للغيظ واثبت للعقد

وظلم ذوى القربى أشد مضاضه على المرء من وقع الحسام المهند  
وكذلك صنعوا مع من آمن به وصدق دعوته ، ولذلك كان سير الاسلام  
بطيئاً ، ولكن ذلك لم يثنه عن دعوته ، ولم يززع ايمان أصحابه ، بل كلما زادهم  
أذى ، زادوا ثباتاً ، إلى أن اشتد الاذى فأذن اليهم فى الهجرة إلى الحبشة ، ثم  
هاجر بقيتهم إلى المدينة بعد ذلك ولحق بهم

والثانية . حياة ما بعد الهجرة إلى المدينة ، وذلك حينما يئس من اهتداء  
أهل مكة ، وبعد وفاة أبى طالب ، وبعد أن عرض نفسه على القبائل فلم يستجب  
أحداليه ، فلما جاء الانصار وبايعوه على أن يهاجر اليهم ، خرج إلى المدينة ،  
وهناك آخى بين المهاجرين والانصار ، فاشتد بذلك ساعده ، وصار منذ تم له  
ذلك فى جيش يتمكن به من الدفاع عن دعوته وعن أصحابه ، ولهذا كان سير  
الاسلام سريعاً ، وشرعت الشرائع وفرض الجهاد ، وأصبح صلى الله عليه وسلم قائداً عاماً  
وحاكماً يحكم بما أنزل الله ، ومازال يدافع المهاجمين له والمحرضين عليه ، ويحارب  
المحاربين له والمتجهمين عليه حتى فتح مكة ، ودخل كثير من زعماء أهلها  
وقادتهم فى الاسلام ، وخبت نار العداة ، فجاءته الوفود من كل ناحية مسالمة  
مسالمة ، حتى لم يبق فى نواحي بلاد العرب من يشرك بالله شيئاً ، ودانوا له  
جميعاً ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، إلى أن اختار  
عليه السلام الرفيق الاعلى

أما أثر الاسلام فى العرب فواضح من أنه أزال ما كان بينهم من احن ،  
والف بين قلوبهم فأصبحوا اخواناً ، بعد أن كانوا أعداء ، وقضى على الرذائل  
التي كانت شائعة فيهم كالوأة خشية العار ، أو فراراً من النفقة ، والفتحش الذى  
لم يك معه للعفاف قيمة

وأطلق الناس من قيود الاستعباد للرؤساء الذين ضلوا في عقائدهم . واتبعوا  
اهوائهم ، وغلبتهم على الحق شهواتهم وميوههم ، فأطاعهم رهبة أو رغبة  
رعايهم الذين كانوا كأنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم ، وجاء الاسلام فجهر بأن  
الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام . وأنزل هؤلاء الرؤساء الى مصاف العامة ،  
وجعلهم ومرءوسيههم سواسية في الحق ، ولا تفاوت بينهم إلا بتفاوت أعمالهم  
الصالحة .

كما فكهم من أسر التقليد ، تقليد آبائهم الاولين في ضروب السفه والحق ،  
والانقياد الاعمى للرأى ، وبهذا وما سبقه ثم للمسلم الاستقلال في الارادة ،  
والاستقلال في الرأى ، ولا كمال للانسان بغيرها

على أننا إن ننس لانفس أن الاسلام جمع العرب على دين واحد وهو  
التوحيد ، بعد أن فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، متنايذين متلاعنين ، في فوضى  
دينية ،

وجمعهم على رئيس واحد أو حاكم واحد ، هو رسول الله وخلفاؤه من  
بعده ، بعد أن تعدد حكامهم ورؤسائهم ، وكانوا في فوضى سياسية .

وبذلك يكون الاسلام قد جمعهم الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ، ولم يعهد  
لها نظير في ماضيهم ، فتحوط أهواؤهم عن اللذائذ القانية إلى طلب الرغائب  
السامية ، وتحول ما كانوا عليه من بنى وعدوان ونهب وسلب ، إلى حالة أخرى  
امتلاّت قلوبهم فيها غضبا لله ولدينه ، وكان الرسول قد بلغ رسالته إلى ملوك  
الفرس والروم والحبشان فامتنعوا أو ترددوا وأخافوا السابلة ، وضحيقوا على  
المتاجر ، فبعث اليهم البعوث في حياته ، وتبعه في هذا خلفاؤه الراشدون ،  
فكان المسلمون يتدافعون إلى غزواتهم تدافع السيل الجارف ، حتى ملكوا عليهم  
بلادهم ، وفي أقل من قرن كان الاسلام منتشرا فيما بين بلاد الصين من الشرق

والحيط الاطلسي من الغرب ، وذلك كله فضل الوحدة ، واجتماع الكلمة ، في جزيرة العرب

أما انتشار الاسلام بهذه السرعة فيرجع إلى أنه دين سهل معقول ، وهو أمس بمصالح الناس ، وأقرب إلى قلوبهم ومشاعرهم ، وأدعى إلى الطمأنينة . ودين هذه بعض صفاته ، يجذب إلى العقول منقذاً ، وإلى القلوب مخلصاً ، ولو أن أهله استمسكوا بعروته الوثقى ، وعملوا على مقضى أصوله وقواعده المحكمة ، لظلمت راياتهم تخفق على ذلك الملك الواسع الاطراف إلى اليوم .

لا يقال : كان العرب على دين ، ومن أجله قاموا يحاربون رسول الله دفقا عنه ، فلمهم انتحلوا أشياء كانوا فيها اسرى تقليد من سبقهم ، وقد قال الله تعالى يندد بهم ( إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الا نفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) ان الدين الاسلامي يكاد يكون منفردا من بين الاديان بتقريب المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وقادما يوجد دين يساويه أو يقاربه في هذه المزية هذا ويمكن أن تقول مع التسامح في التعبير - ان رسول الله قد أنشأ في

حياته أمورا ثلاثة عظيمة لا تتم الواحدة منها في قرون طويلة ، وهي .

(١) أنشأ أمة . متانفة متعاونة ، من قبائل العرب المتباغضة المتطاحنة ، وأعددها اعدادا صحيحة لأن تنبوا مكانتها بين أمم الارض ذات التاريخ المجيد والفتح المبين والملك العريض فكان له منها دولة قوية عنيت لها من بعده وجوه الاكاسرة والقياصرة ، وصار أبناؤها يرون بحق أنهم أهل للسيادة على العالم ، وأولى بقيادة الامم ، ونشر العدل والسلم على الارض ، وصارت في أقل من قرن تخفق راياتها على البلاد التمدينة ، الممتدة من جدار الصين شرقا إلى المحيط الاطلسي غربا . ولم تبلغ دولة من دول الارض ما بلغت دولة الاسلام .

(٢) أنشأ ملة ، وهى الدين الإسلامى ، دين التوحيد ، الذى ضم سكان القنار العربية إلى وحدة دينيه لم يعرفها تاريخهم ، ولم يهد لها نظير فى ماضيهم ، فقد كانوا فى دينهم فرقا وشيعا واحزابا لا يضبطها العد ، وكل حزب بما لديهم فرحون . وجاء الاسلام فاجتث جذور الوثنية ، وطهر عقولهم من الاوهام الفاسدة ، فأصبح الفرد منهم بالاسلام حرا ، لا يخضع الا لله الواحد القهار ، لا لأحجار ولا للشجار ، ولا للكهنه والعرافين ، ولا لما يتوارث عن الآباء من ضروب العقائد السخيفة ، وأنواع السفاهة والجهالة . ثم أصبح به ذلك البدوي الجلف الوحشى ، انسانا كريم الاخلاق ، مهذب النفس ، راقى العواطف ، الى حد انه صار يتوقد غيرة أو عطفنا على البشرية المعذبة ، التى تئن تحت سيطرة الفرس والروم ، وتستغيب برب الناس ، ليرسل اليها من ينقذها من الاستعباد ، ويخلصها من الظلم ، وقد حملت العواطف ذلك البدوي . بعد أن أسلم - على أن يضحى بنفسه وماله فى سبيل انقاذ الانسان المظلوم من الانسان الظالم ؛ لقد عمل الاسلام فى نفسه عمل السحر ، حتى استحال بين عشية وضحاها من حال الى أحسن حال . فسبحان الحكيم القادر .

(٣) شرع قانونا ، أو جاء من عند الله بدستور عام ، هو القرآن الحكيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى آخذ العلماء من أهل الملل المختلفة على ما أفسدوا من العقائد ، وما خلطوا من الاحكام وما جرفوا بالتأويل ؛ والذى شرع للناس أحكاما تتفق مع مصالحهم ، وجاء بحكم ومواعظ وآداب خشعت لها قلوبهم ، ودهشت منها عقولهم ، وانصرفت وراءها هممهم ؛ والذى حث على التعليم والارشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلما أذعن اليه العرب بعد اسلامهم أقاموا صروح دولهم عليه ، وجعلوه حججهم القائمة على الامم الاخرى فى إحكام أحكامه ، وتقريره قواعد العدل والانصاف والحرية والمساواة .

كل هذا أروق وأينع وأزهر وأثمر في ربع قرن ثم كان له في الأمة الإسلامية وحياتها المجيدة شأن عظيم .

لقد أحدث الاسكندر دولة ، وأحدث نابليون دولة ، ووضع كل منهما لدولته من النظم ماظن أنه يكفل لها السعادة ، ولكن كلامهما كانت دولته في أمم لها عهد بالملك والنظام ، فلم يطرأ عليها جديد الا ذلك القائم بها وهو المتغلب ، وفرق بين هذا وبين ملك وشرع ودستور يضم سكان الصحارى العربية المتنافرة المتعادية التي لا عهد لها الا بالخروج على النظام ، لا قانون يخضعها ، ولا سلطان يجمع كلمتها .

أما سر انتشار الاسلام بسرعة فيرجع إلى أن الاسلام دين الفطرة ، يحق الحق ويبطل الباطل ، ويخاطب العقول ، ويحدد الحقوق ، ويسوى بين جميع الطبقات في احترام النفس والدين والعرض والمال

كما يرجع الى ما اتصف به رسول الله ، من اعتقاده صدقة ما يدعو اليه ، وثقته بتأييد الله ، واجتهاده في نشر دعوته بجميع الوسائل المشروعة ، وثباته وصبره على ما كان يلاقيه من أذى أقرب الناس اليه وهم أهله وعشيرته الذين نصبوا أنفسهم لتحديه وعناده وتحريض القوم عليه - لكنه قام بهذه الدعوة وحده صابرا ، وقومه ما بين مستهزى به وظافل عنه ومستعد عليه ، أما هو فكان يقارعهم بالحجة ، ويناهضهم بالدليل ، ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر ، وأخيراً سفه أحلامهم ، وضلل آباءهم ، وسخر من آهنتهم ، وأنذرهم عذابا ليليا ، وإلى ذلك صباح مساء حتى أخذتهم العزة بالاثم وأجمعوا أمرهم بينهم على قتله ، ليربحوا الناس منه ، لولا ما كان من حماية عمه أبي طالب إياه

بهذه الاخلاق وما مائلها ، نجح في فتحه ونشر دين الله واعلان أحكامه في ذلك الزمن القصير الذي أصبح العرب فيه أمة : من الدين على التوحيد ،

ومن الاخلاق على شرعة الفلاسفة ، الذين قتلوا الغرائز والامبول بحشأ ، وما أدراك أن ذلك كله كان الاساس المتين لما كان بعد وفاته وفي عصر خلفائه ، إذا صارت الامة العربية دولة الزمان ، وقد تغيرت بفتوحها عقائد ولغات وعادات ، إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد رأيت ان ألحق هذا الفصل بمقال صغير لكاتب أمريكي كبير دونه بعنوان من أعظم الحوادث في التاريخ ، وفاة محمد

قال : في سنة ٦١٢ بعد الميلاد ، وهي السنة الهجرية العاشرة ، غادر محمد هذه الدنيا ، بعد أن انشأ ديناً اكتسح أفريقيا من القاهرة الى مراكش ، وجنوب أوروبا ، ونهض آسيا ، من القدس الشريف إلى بغداد إلى طهران إلى دهلي ، وسيطر عليها قرونا هذا عددها .

وإذا صرفنا النظر عن الحروب التي سارت في ركابه أو أثره ، وجدنا أنه دين شريف ، ودين توحيدى صارم ، ينبذ الصور والكهنة وتعدد القديسين ، دين يبني الخلق القوي بعقيدة القضاء والقدر والمران على الحروب ، دين بنى في قرطبة وغرناطة والقاهرة وبغداد ودهلي جامعات وثقافات ، دين منح العالم حاكماً من أكبر حكامه أكبر الهندي ، وزين اسبانيا ومصر والقسطنطينية وفلسطين والهند بعمارته الرشيقة النبيلة من قصر الحمراء إلى التاج محل

كان المسلمون يبنون كجيايرة ويتقنون عماراتهم كهواغ ، واليوم رغم تفرقهم السياسى يزدادون عدداً وقوة ، ففي الصين والهند نجد معتنقين للاسلام في كل ساعة من كل يوم ؛ ولا أجزم بأن المستقبل ليس لهم . انتهى

أقول ؛ ومادام الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه المجيد الذى يتبعه العالم حيثما سار ، ومادام الله يابى الا أن يتم نوره ويظهر دينه على الدين كله ، فان أهل القرآن بعد انصرفهم عن كتابهم ودينهم سيقبلون على كل منهما فيقبل

وعد الله لا يخلف الله وعده -

عليهم الزمان تبعاً لذلك ، وتعود الدولة اليهم ،  
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ  
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ  
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

ثم أختتم الموضوع بهذه الآية الكريمة

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ  
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا  
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ  
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم